الاحتلال الأمريكي للعراق ومآسي الشعب العراقي

المناسبة: خطبة صلاة الجمعة العبادية السياسية

الحضور: جموع غفيرة من المصلّين

الزمان والمكان: 7 صفر 1424هـ ــ طهران

أجواء الكلمة

تطرق سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) في خطبة صلاة الجمعة السياسة العبادية التي أقيمت بإمامة سماحته بتاريخ 8 صفر 1424هـ. ق إلى الأمور التالية:

1ــ قضية العراق وحوادثه البالغة الأهمية:ــ

أ ــ سقوط النظام العراقي.

ب ــ المآسي التي تعرض لها الشعب العراقي.

جـ ــ العدوان العسكري على العراق بذرائع واهية.

د ــ سلطة أمريكا المستقبلية في العراق.

2ــ هزائم أمريكا المتكررة:ــ

أ ــ هزيمة أمريكا أيديولوجياً.

ب ــ هزيمة أمريكا سياسياً.

جـ ــ هزيمة أمريكا عسكرياً.

د ــ هزيمة أمريكا إعلامياً.

3ــ الدور الصهيوني وتشجيع أمريكا لاحتلال العراق.

4ــ وصايا سماحة السيد القائد إلى الناشطين السياسيين العراقيين:ــ

أ ــ الحذر والحد من التنافسات الواهية وأعمال الانتقام الخاطئة.

ب ــ عدم التعاون والتنسيق مع حاكمية الأجنبي.

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين

لاسيّما بقية الله في الأرضين، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وإني لأوصي الإخوة والأخوات المصلّين الأعزاء ونفسي بالتزام التقوى والورع والمراقبة في القول والفعل, بل وحتى الظنون.

سأتطرّق في الخطبة الأولى لهذا اليوم للقضية المهمة في هذه الأيام وهي قضية العراق وحوادثها البالغة التعقيد، وأكرّس معظم الخطبة الثانية لأتحدّث باللغة العربية مع الإخوة والأخوات العرب من العراقيين وسائر البلدان الإسلامية، وأخصِّص مقطعاً قصيراً منها لسائر التوجيهات.

وقبل الدخول في الموضوع الذي تهفو إليه القلوب والأنظار هذه الأيام لا في إيران فحسب بل في العالم بأسره لاسيّما منطقتنا، ألا وهي قضية العراق.

أتحدّث بإيجاز عن قضية أخرى تتمتع ــ في نظري ــ بأهمية قصوى بالنسبة لنا نحن الشعب الإيراني, وهي: الالتزام بالتوجيهات التي أطلقتها للمسؤولين ولكافة أبناء الشعب في بداية هذا العام, وهي قضية العمل الدؤوب؛ لتقديم الخدمة للشعب وإثبات كفاءة النظام على الصعيد العملي.

التنافس في استباق الخيرات

إننا نتحدّث ونعمل باسم الإسلام, فإذا ما اعترى الضعف والنقص عملنا فلسنا وحدنا الذين نتضرر جرّاء ذلك, وإنما الضرر يلحق بالإسلام أيضاً، ويستغل العدو هذه الثغرة المتناهية الدقّة والظرافة أقصى درجات الاستغلال، وإنّ مسؤولي النظام والرجال الكفوئين في الجمهورية الإسلامية يتمتعون بالقدرة على معالجة المشاكل التي تعانيها البلاد على أحسن وجه, من خلال الإمكانيات الواسعة التي يمتلكها البلد ــ سواءً كانت القدرات الإنسانية التي يندر نظيرها أو القدرات المادية الخارقة ــ وليست المشكلات الاقتصادية منها فقط, بل المشكلات الأخلاقية والثقافية والاجتماعية.

إنّ الرجال الذين يقفون على رأس الأعمال بإمكانهم معالجة هذه المشكلات بالجدّ والهمّة والتلاحم والإنهماك بالقضايا الجوهرية، وينبغي أن يحظى هذا الأمر باهتمام مسؤولي البلاد، ويتعيّن على أبناء شعبنا العزيز الواعي النبيه والنجيب أن يطلبوا ذلك من مسؤولي البلاد في مختلف المرافق سواء السلطة التنفيذية أو القضائية أو التشريعية, أو مختلف المؤسسات التابعة لأيّ من المرافق الحكومية فهذه مسؤوليتهم.

ولقد أكّدتُ على مسؤولي البلاد: بأن يجعلوا من هذا العام عام تنافس في هذا المضمار، وهذا تنافس حقّ، سليم وموضع رضى الله سبحانه وتعالى {فاستبقوا الخيرات}[1].

والتنافس هنا يعني دعوة قطاعاتهم ومرافقهم على اختلافها في ربوع البلاد إلى دخول هذا السباق الكبير، فلتدعو السلطة القضائية محاكم البلاد إلى هذا السباق لتنظر ــ بعد مرور عدة شهور أو سنة كاملة ومن خلال عملية محاسبة وتقييم ــ أيّاً من محاكم البلاد استطاعت إنجاز المزيد من شكاوى الناس وتطمين هواجسهم, والحصول على ثقتهم والفراغ من الدعاوى على أفضل وجه؛ ليصبح ذلك امتيازاً لها، ولتدعو كل وزارة مرافقها على امتداد البلاد؛ لـــخوض هذا السباق وتقوم بمثل هذه المحاسبة، بل ولتقم منظومة الحكومة نفسها بمثل هذا السباق بين وزاراتها ودعوتها له.

ليتّضح أيّاً من الوزرات البضع والعشرين تمتلك أرقاماً صحيحة ووثيقة وجليّة؛ عما قدمّت من خدمة للجماهير, ليكون ذلك امتيازاً لها.

وليصرّحوا به أمام الشعب، ولينظر النواب في مجلس الشورى أيضاً ــ أفراداً ومجاميع داخل أروقة المجلس ــ أي مشروع وأي لائحة وأي قانون أكثر فائدة للناس, وفيه علاج سريع وحسنٌ لمشكلات الشعب ومعضلاته فيقدّموه، وليتسابقوا في هذا المضمار أيضا، فهذا سباق مشروع وصحيح ومرضي لدى الباري عز وجل.

والشعب بدوره يتفهمّ ذلك, ويستشعر الخدمة التي تُقدّم له، وعلى مختلف الأجهزة أن تخوض السباق فيما بينها على صعيد الأعمال المشتركة، فلتتنافس السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية في مكافحة الفساد والرشوة وذوي النوايا السيئة، فهذا هو التنافس الصحيح وإني لأوصي به.

إنّ قضية العراق في غاية الأهمية؛ وإنّ أهميتها من حيث الأسس, إن لم تفق القضية ذاتها فهي لا تقل عنها؛ لذلك فإنها تمثّل الموضوع الأول الذي سأتطرّق إليه، فالقضية التي هي حديث الساعة الآن هي قضية العراق، إذ وقع في العراق حدث مهم، فهنالك هجوم عسكري، وسقوط طاقم يقف على رأس الأمور، وشعب محاصر بإرادته ومبادئه وتطلّعاته وقدراته من قِبَل حفنة من الأدعياء، وتدور أحداث مهمة, وقد تطلّعت أنظار العالم الإسلامي لكي تعرف الموقف الواضح للجمهورية الإسلامية في هذه القضية، وعلى مدى هذا الشهر حيث بلغت الأحداث ذروتها أدلى مسؤولو البلاد في مختلف المرافق بوجهات نظرهم وكانت صحيحة، فالأوضاع الآن استثنائية للغاية.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 148.

مقتطفات من تاريخ العراق السياسي

من الضروري أن أتحدّث حول هذا الموضوع بعض الشيء.

لقد ضجّ العراق بالأحداث الصعبة والدامية خلال القرن الأخير، فبعد سقوط الدولة العثمانية نصّب الإنجليز أسرة غير عراقية كأسرة مالكة على رأس الأمور في العراق، فتوالى على الحكم ثلاثة ملوك منهم على مدى سنوات معدودة، فلقد توفي الأول وقتل الثاني خلال حادث غامض، وقطّع الثالث إرباً إرباً على أيدي الناس، ثم تعاقبت الحكومات الانقلابية منذ عام 1958 وحتى عام 1968م، حيث سيطرت على سدّة الحكم حكومة البعثيين[2], فكان صدام[3] الرجل الثاني فيها وكان الرجل الأول احمد حسن البكر[4], وخلال السنوات العشر التي سبقتهم من حكم الحكومات الانقلابية والعسكرية قُتل الأول وقضى الثاني في حادثة مشبوهة فيما أزيح الثالث عن الحكم.

منذ العالم 1968 وحتى الآن أي بما يقارب من ثلاثين وبضع سنين استلم البعثيون الحكم, حيث يجدر بنا اعتبار هذه الفترة ــ لاسيّما فترة رئاسة صدام ــ أشدّ الفترات التي مرّت على العراق، وها هي حكومة صدام قد سقطت أيضاً, وليس واضحاً أين صدام الآن, فالوضع يكتنفه الغموض، وإنّ ما وقع في العراق الآن لا يعد قضية واحدة في واقع الأمر وإنما هي أربع قضايا, يحاول الأمريكان والبريطانيون وأبواقهم دمجها وجعلها قضية واحدة؛ والحصول على جواب واحد إزاءها من الرأي العام فإما نعم, وإما لا، لكنهم عبثاً يفعلون, فهي أربع قضايا وليست واحدة.

بالأمس أو أول أمس وجّه كلّ من بوش[5] وبلير[6] خطاباً للشعب العراقي ــ ولم يكن الشعب العراقي المغلوب على أمره يتمتع بالتيار الكهربائي ليتلقّاها ــ وكان مضمون

---

[2] حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق. ترجع بداياته إلى أوائل الخمسينات وقد شارك الحزب في أول حكومة بعد ثورة يوليو 1958. وصل إلى الحكم لأول مرة بعد حركة 8 شباط 1963 التي قام بها صحبة ضباط بعثيين. أقصاه عبد السلام عارف عن الحكم في 18 تشرين الثاني من نفس العام. عاد الحزب إلى الحكم بعد انقلاب 17 تموز 1968.

[3] حكم العراق من عام (1979 وحتى 9 أبريل 2003), قام صدام بخوض حرب الخليج الأولى (1980-1988) وقام بغزو الكويت في 2 أغسطس 1990 والتي أدت إلى نشوب حرب الخليج الثانية (1991)، تمت إزاحته عن السلطة عام 2003 وذلك في الغزو الأمريكي للعراق وقُبض عليه في 13 ديسمبر من ذلك العام. تم بعدها محاكمته وإعدامه.

[4] أحمد حسن البكر حكم العراق من (1968 إلى 1979).

[5] جورج (دبلو) بوش (George W. Bush) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثالث والأربعون وذلك من 20

الخطاب: إننا جئنا إلى العراق كي نحرركم، فَهُم يوجزون القضية, وننقذكم من صدام، وفي قول السادة هذا وقعت حالتان من الخلط الجسيم: إحداهما قولهم: إننا جئنا لنحرركم, أي أنّ الشعب العراقي لا قدرة له, وليس جديراً بهذا الأمر ونحن الذين يجب أن ننجز له هذه المهمة، وفي ذلك غلط كبير.

أما الثانية: فإن هذا الكلام كان كذباً؛ لأن تحرير شعب ما لا يستدعي صبّ النيران والقنابل والصواريخ على رؤوسهم، ولا القيام بتدمير المدن والقرى والمناطق الآهلة, بذريعة أنهم يريدون القضاء على معسكر, ولا التسبب بهذه المآسي التي سأشير إليها بإيجاز.

أبعاد قضية الحرب على العراق

إنّ القضية ليست تحريراً لشعب العراق، وإنما هي أربع قضايا يجب الفصل بينها.

إحداها: إسقاط صدام، فثمة تزاحم وتناقض حصل بين مصالح صدام ومصالح الطغمة الحاكمة في أمريكا انتهى إلى صراع ومواجهة، وأولئك هم الأقوى من صدام فأسقطوه، وسوف أتحدّث عن موقفنا الواضح فيما يتعلق بهذا الأمر، وإنّ موقفنا لواضح فيما يخصّ كلاً من هذه القضايا, ونحن نعمل على التفكيك بينها, ليتجلّى موقف نظام الجمهورية الإسلامية المنبثق عن الفكر والتدبير الإسلامي, والمحافظة على مصالح البلاد، إذا المسألة الأولى هي سقوط صدام.

القضية الثانية التي وقعت في العراق وهي مستمرة، هي: المآسي التي تعرّض لها الشعب العراقي، وهي تختلف عن قضية إسقاط صدام, ولها حكم آخر.

وسيأتي الحديث عن موقفنا إزاءها.

يناير 2001 إلى 20 يناير 2009. كان حاكماً لولاية تكساس قبل توليه رئاسة الدولة, وذلك من 1995 إلى 2000.

[6] توني بلير (Tony Blair) رئيس الحكومة البريطانية الأسبق، تولى رئاسة الحكومة لثلاث فترات رئاسية متتالية بدأت بعام 1997 وانتهت بعام 2007 ورئيس حزب العمال البريطاني منذ عام 1994 ولغاية 2007.

والقضية الثالثة هي: تعرّض بلدٍ مستقل لعدوان وغزو عسكري من قِبَل قوات أجنبية بذرائع مختلفة من قبيل امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ودعمه للإرهاب وغيرها، وهذه ذرائع يمكن التطبيل لها على الدوام, وفي أي مكان كان؛ وهي لا تعد مسوّغاً لشنّ هجوم عسكري على بلدٍ ما وانتهاك حدوده، وسأتحدّث عن موقفنا في هذا المجال أيضاً.؟

أما القضية الرابعة فهي: إدارة العراق في المستقبل, التي ينسجون الأدوار والمخططات والأوهام في أدمغتهم من أجلها، وهذه بدورها قضية منفصلة؛ وإنّ لكلّ منها حكمه.

فيما يتعلق بالقضية الأولى وهي إسقاط صدام، فإن القضية بأساسها تتمثّل في أنّ صدام لم يكن منذ البداية على نقيض مع المصالح الأمريكية، وهنالك تقارير ــ لا أستطيع البت بها بجدّية ــ بَيْدَ أنّ الأمريكان أنفسهم ادّعوا أنّ وكالة المخابرات الأمريكية لها دور منذ البداية في الانقلاب الذي دبّره البعثيون عام 1968م، ولربما يكون ذلك صحيحاً, ولعله يكون خطأ أيضاً.

ولا أريد التحدّث عمّا لستُ متيقّناً منه, ولكن ما من شكّ في أنّ مصالحهم قد التقت فيما بعد لاسيّما بعد انتصار الثورة الإسلامية وقيام نظام الجمهورية الإسلامية، وكانوا من قبل قد اتّفقوا مع طاغوت إيران محمد رضا بهلوي[7] فكان أن اتّضح التقارب بين مصالحهم، وبعد أن انتصرت الثورة الإسلامية أصبحت مصالحهم مشتركة، فلقد كانت تراود صدام الأطماع بأراضينا، فيما كانت أمريكا تناهض قيام نظام الجمهورية الإسلامية وتسعى لإعادة الحكومة الطاغوتية العميلة، وبهذا فقد التقت مصالحهم؛ لذلك عندما اندلعت الحرب المفروضة من العراق على إيران عام 1980م وشنّ صدام هجومه الجوي على طهران في اليوم الأول منها لم يغفل عنه الأمريكان, منذ الساعة الأولى طرفة عين أبداً، قد ضاعفوا من دعمهم له يوماً بعد يوم.

وهذه من الأمور المسلّم بها وليست تكهّنات، والاحتمال الوارد هو تنسيقه مع الأمريكان فيما سبق ذلك، وهذا ما لا أدّعية؛ لأنني لا أعلمه, بالرغم من توفّر التقارير بشأن ذلك، فخلال زياراتي أيام رئاستي للجمهورية الإسلامية قال لي بعض رؤساء

---

[7] محمد رضا شاه بهلوي، الشاه المخلوع (1919–1980)، حكم إيران في الفترة من (1941–1979) بعد عزل أبيه (رضا خان) من قبل الحلفاء. وحكم تحت الوصاية البريطانية والروسية حتى سنة 1946م، أدى به منهجه التغريبي الانفتاحي وحكمه الدكتاتوري إلى سقوطه في الثورة الإسلامية عام 1979، غادر طهران عشية انتصار الثورة الإسلامية في 1979/1/16م. توفى بعد 18شهراً من مغادرته طهران، في مصر ودفن في القاهرة.

الدول الإسلامية: أنه ــ صدام ــ قد نسّق مع بعض الأطراف، ونحن لا نمتلك اليقين على أية حال.

أما المتيقّن بالنسبة لنا فهو: أنّ أمريكا قدّمت أقصى أنواع الدعم لصدام، بل مارست الضغوط على المنظمة الدولية لإجبارها على تقديم الدعم لصدام، ولقد تجرّعنا ثماني سنوات من الحرب, وقد خدم صدام الأمريكان, لأنه استطاع أن يُشغل الجمهورية الإسلامية بقضية داخلية دموية أي الحرب لمدة ثماني سنوات لصالحهم، فالحرب تستدعي اهتماماً وتوجّهاً ذهنياً كبيراً، فلو لم تبتلِ ثورة بلد ما في بداية أمرها بمثل هذه الحرب الدامية لكان أمامها مجالاً للبناء ولإنجاز الأعمال العملاقة، وإنّ صدام استهلك قد أفضل قدراتنا لصالح أمريكا ولمدة ثماني سنوات؛ وذلك للتلاقي الذي شهدته مصالحهما.

وفيما بعد حيث غزا صدام الكويت طرأ التناقض في مصالحهما, ووجدوا أنّ تحليق هذا الرجل وصل حدّاً يهدد مصالح أمريكا في المنطقة؛ لأن غزو الكويت كان بمثابة غزوٍ لمصالح أمريكا، ولو لم يقفوا بوجه صدام لكان من الممكن أن يهاجم السعودية لاحقاً, وذلك ما كان يصرّح به يومها, إذ كان يقول: إنني استولي على الكويت, وأتوجّه بعدها صوب الإمارات والبحرين وقطر وحيثما أمكن.

وهنا تعارضت مصالحهم، وبدأت ضغوط المنظمات الدولية والإعلامية والإسلامية على صدام الذي لم يكن ذلك الإنسان الذي يملك القدرة على الصمود بوجه أمريكا, بل كان على استعداد لأن يهادنهم ويتنازل لهم، غاية الأمر أنّ الأمريكان لم يكونوا قادرين على ذلك, وكان صدام معضلة بالنسبة إليهم، فلو كان الأمريكان قد تساهلوا مع صدام لكانوا قد فقدوا أصدقاءهم في الخليج الفارسي، ولم يكن حكام الخليج الفارسي على استعداد للقبول بأن تعمل أمريكا على تقوية صدام من جديد, كما كان في السابق؛ وذلك لخوفهم.

ومن جانب آخر لو قدرت أمريكا على ممارسة الضغوط على صدام بشكل تام لكانت ضيّعت مصالحها في العراق؛ لذلك فقد وقعت أمريكا في التناقض، فلقد كان العراق بما يمتلكه من ثروات نفطية وغيرها وسائر ثرواته وبعدد سكانه الذي يُناهز العشرين مليوناً مغرياً للغاية بالنسبة لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط الحساسة.

فأمريكا كانت تريد أن تسجّل حضوراً في العراق, وتنشط فيه, وتمارس النهب؛ ولكنها لم تكن قادرة على ذلك؛ لأنها إن ساومت صدام فستواجه مشكلة على الطرف الآخر، وإذا لم تفعل فإنها ستفقد مصالحها، وهكذا أخذ التناقض يشتد بين أمريكا والنظام الصدامي.

من هنا فقد فكروا بأن يزيلوا صداماً بطريقة يخلو لهم العراق تماماً، وهذه القضايا إنما هي استمرار لذلك، وبناءً على هذا فإن ادّعاء الأمريكان أو الإنجليز بأنهم جاؤوا لإزالة صدام لسواد عيون الشعب العراقي إنما هو كذب محض وسافر، فلم يكن فعلهم هذا من أجل الشعب العراقي، فَهُم قد أزاحوا صداماً للتعارض الذي طرأ في مصالحهم مع مصالح صدام، وإلاّ فإنهم كانوا يدعمونه عندما كانت مصالحهم مشتركة, كما في دعمهم له أثناء فترة الحرب المفروضة.

موقف نظام وشعب الجمهورية الإسلامية من حرب أمريكا على العراق

الآن وقد جاؤوا ومارسوا ضغوطهم بقواهم العسكرية وزال صدام، فهل أنّ الشعب الإيراني مسرور لذلك أم لا ؟

إنه مسرور حتماً، فمنذ عشرين عاماً والشعب الإيراني ينادي الموت للمنافقين وصدام، وها هو الموت قد حاق بصدام، وإنّ سرورنا في هذه القضية هو كسرور الشعب العراقي، وموقفنا هو موقف الشعب العراقي تماماً.

فالشعب العراقي مسرور لزوال صدام, وكذا نحن مسرورين لزوال صدام، فصدام دكتاتور شرير ظالم لا عهد له ولا ميثاق وفي غاية الشر، فقد كان مستبدّاً في حكمه على الشعب، وكان موجوداً في غاية السوء بالنسبة لشعبه, وجار سوء بالنسبة لنا.

بناءً على هذا فإن قول المحتلين: بأن سرور الشعب العراقي هو لمجيئنا إنما هو قول جدير بالاستهزاء في واقع الأمر, فسرور العراقيين إنما هو لزوال صدام، فقبل أيام أظهرت إحدى القنوات الأوربية مشهداً من بغداد حيث سُئل شاب: فأجاب بقبضة فولاذية "الموت لصدام والموت لبوش" فقد نادى بالموت لكليهما في آنٍ واحد، فكان أن عرض ذلك مرّة واحدة ثم لم تسمح عملية التقنين الاخباري بأن يتكرر، وإلاّ فلو سُئل ألف من العراقيين لأجاب تسعمائة منهم بنفس الجواب، فلا علاقة للسرور بزوال صدام، بمجيء المحتلين كي يضاف لحسابهم؛ فلو أنّ بعض الناس في بغداد ــ مثلاً ــ قد أشاروا بأيديهم فذلك لا يعني ترحيب الشعب بهم أبداً، ولديَّ إطلاعاً واضحاً عن مختلف الأمور، فلا الشعب في البصرة حيث دخلها البريطانيون ولا في سائر المدن حيث دخل الأمريكان، قد قابلوا المحتلّين بوجوه بشوشة، وإذا كانوا قد فرحوا لزوال صدام فقد تضاءل هذا الفرح تحت هذا القصف، حيث دمّروا الشعب خلال هذه الأسابيع المعدودات.

وعليه فإن الشعب العراقي كان حيادياً في هذه الحرب التي وقعت بين صدام وبين المحتلين والمعتدين.

وقد أعلنت الحكومة الإيرانية عن حيادها، ومعنى الحياد هو: أنّ كلتا الجبهتين ــ جبهة صدام وجبهة الغزاة ــ ظالمتان، والشعب العراقي لم يؤيد أحداً في هذه الحرب، وإنّ إيران شعباً وحكومة لم تؤيد أيّاً منهما في هذه الحرب أيضاً، أي أننا لم نقدّم أدنى مساعدةٍ لأيٍّ منهما؛ وهذا ما يعنيه الحياد, فنحن لم نساعد صداماً؛ ليتمكن من المحافظة على نفسه, ولا قدّمنا العون للمحتلين؛ كي يحققوا نصراً سريعاً.

فقد كرّسنا كافة قدراتنا لئلا يُقَّدم أي دعم؛ وهذا ما يعرفه الذين يتجسسون عبر الأقمار الصناعية, ولا حاجة بأن نصرّح لهم بذلك, ولكن ينبغي للشعب الإيراني أن يعلم بأن الحكومة ومسؤولي البلاد بذلوا قصارى جهودهم ــ ونجحوا في ذلك ــ لئلا يسمحوا لأحد بتقديم العون لأي طرف، ولم يُقدّم أي دعم، وإذا ما كان تقدّم القوات الغازية سريعاً, فذلك إنما كان للحياد الذي التزمه الشعب العراقي، فلو كان العراقيون قد وقفوا إلى جانب صدام فإن الغزاة أنفسهم يعلمون بعدم قدرتهم على التقدم بهذا الشكل؛ وهكذا يصبح الحال حينما لا تصفو قلوب شعب ما مع مسؤولي بلادهم؛ فلقد تجرّع الشعب العراقي من مسؤولية الضربات والامتهان والاحتقار والاغتصاب والقسوة؛ لذلك لم يدافع عنهم أبداً, ومن هنا كان تقدّم أعداء هذا البلد من الغزاة سريعاً؛ وثمة حديث وكلام فيما يخصّ هذه القضية، وقد تقدّم القول منّا أنّ شعبنا مسرور لها وكذا حكومتنا ومسؤولينا؛ وبطبيعة الحال فإن حكومتنا ومسؤولينا يساورهم الشك نوعاً ما في هذه القضية, فلماذا لم تقاوم بغداد كالبصرة، أي أنّ الحرب بأسبوعها الأول كانت ذات طابع آخر، فلقد كانت جدّية, وكانوا يقولون: أنها تزداد جدّية بعد الآن، غير أنّ الغزاة توقّفوا لبضعة أيام فيما بعد، وما أن باشروا تقدّمهم لم يكن هنالك دفاع جادٌ.

وفي الحقيقة فإن بغداد استسلمت في غضون يومين أو ثلاثة, أي أنها سقطت وليس هناك من يدافع عنها دفاعاً جاداً، في حين كان في داخل بغداد نفسها ــ كما أعلنوا ــ ما يقرب من مئة وعشرين ألفاً من القوات المسلحة، علماً أنّ الحلقات الدفاعية التي أحاطوا بها بغداد على امتداد مئة كيلومتر وكانت قوّات الحرس الجمهوري تتولّى حراستها أكثر بكثير من ذلك، وبغداد بذاتها التي كانت تضمّ ما يناهز المئة وعشرين ألف مقاتل لم تستطع الصمود بوجه الهجوم يومين أو ثلاثة، فهي إما أن تكون قد عجزت أو صدرت الأوامر بعدم المقاومة؛ وهذا ما هو مجهول، وسيكشف المستقبل عن هذا الغموض، ولسنا قادرين الآن على الحكم، وليس من المهم ما يكون عليه حكمنا، فعلينا التريّث لنرَ ماذا سيحكم المستقبل بشأن هذه القضية.

بودّي هنا استذكار محمد جهان آرا[8] شهيد خرمشهر العزيز والشهداء الذين صمدوا في خرمشهر المظلومة، ولقد كنت في تلك الأيام أشهد الأحداث عن قرب في الأهواز، فلم تكن خرمشهر تمتلك قوة مسلحة، فهي لم تكن تمتلك مئة وعشرين ألفاً، بل لم تمتلك عشرة آلاف ولا خمسة آلاف، سوى بضع دبابات كانت عاطلة، قام الشهيد "أقارب برست"[9] ــ وهو ضابط متديّن ــ بإصلاحها وجاء بها من خسرو آباد[10] إلى خرمشهر ــ وهي بطبيعة الحال تابعة للجزء البعيد من خرمشهر أما الجانب المركزي من خرمشهر فلم تكن فيه أي قوة قط ــ فلقد قاوم محمد جهان آرا وغيره من شبابنا لمدة خمسة وثلاثين يوماً بوجه القوات العراقية الغازية ــ وكانت فرقة مدرعة ولواء من القوات الخاصة تعززها تسعون من المدافع التي تصبّ صواريخها على خرمشهر ليلاً ونهاراً، فكما كانوا يوجّهون قذائفهم على بغداد، كانت الهاونات والمدافع الثقيلة تصبّ قذائفها على ديار أبناء خرمشهر بشكل مستمر.

---

[8] ولد الشهيد محمد علي جهان آرا عام (1954م) بمدينة خرمشهر من عائلة مستضعفة كادحة ملتزمة. ونظراً إلى الالتزام العائلي، فقد تأثر الشهيد منذ عام (1969م) بالحركة الإسلامية بزعامة الإمام الخميني (قدس سره)، وخاض النشاط السياسي بمعية عدد من زملائه في المسجد. انضم برفقه أبيه عام (1970م) إلى تنظيم حزب الله السرّي في مدينة خرمشهر. إلا أن هذا التنظيم قد كشف عام (1972م) واعتقل جميع أعضاءه ومن بينهم الشهيد جهان آرا. ونظراً إلى خلقه الحسن في التعامل مع سائر السجناء، فقد استطاع إرشاد عدد منهم إلى العمل السياسي والنضالي. وخرج الشهيد من السجن وهو أشد عزيمة على مواصلة نضاله وأكثر سعياً ونشاطاً، فما كان من الساواك إلاّ أن استدعاه وهدده بترك النشاط الإسلامي والسياسي. إلاّ أن هذا التهديد لم يفتّ من عزمه، بل لجأ هذه المرة إلى العمل شبه السري. انضم عام 1976م إلى جماعة "منصورون" وذلك لشعوره باستمرار الجهاد وبضرورة العمل الإسلامي المسلح، ولجأ منذ ذلك الحين إلى الحياة السرية. واثر انتصار الثورة الإسلامية عام (1978م) عاد الشهيد محمد علي جهان آرا إلى مدينة خرمشهر منهياً بذلك سنتين ونصف من الحياة السرية. وأما كيفية شهادته ففي الساعة 7،30 مساءً من يوم الثلاثاء 1360/7/7هـــ.ش (1981م) وبينما كانت طائرة من نوع سي ــ 130 متوجة من الأهواز إلى طهران لنقل أجساد شهداء عمليات ثامن الأئمة وعوائلهم وكذا جمع من الجرحى إلى المستشفيات، تعرضت لحادثة وسقطت في منطقة كهريزك أطراف طهران، واستشهد جميع ركاب الطائرة، بما فيهم الفريق السيد محمد علي جهان آرا قائد حرس الثورة الإسلامية في مدينة خرمشهر.

[9] الشهيد العميد حسن أقارب پرست (1325 ــ 1363 هــ ش. 1946 ــ1984م) ولد في أصفهان، وستشهد في جزيرة مجنون.

[10] قرية من قرى مدينة آبادان الإيرانية.

بَيْدَ أنّ شبابنا صمدوا لمدة خمسة وثلاثين يوماً، وبغداد استسلمت خلال ثلاثة أيام! فيا شعب إيران، افتخروا بهؤلاء الشباب وهؤلاء المقاتلين، الذين عندما أرادوا استعادة خرمشهر فيما بعد قام الحرس والجيش وقوات التعبئة بمحاصرة خرمشهر بقوات أقل بكثير من القوات العراقية وأسّروا خلال يوم أو يومين ما يقرب من خمسة عشر ألف أسير من القوات العراقية، فالحرب التي فرضت علينا لمدة ثماني سنوات بمثابة قصة عجيبة زاخرة بالعبر، ولستُ أدري لماذا يتقاعس البعض في بيان الأمور التي تبعث على الفخر خلال فترة الحرب المفروضة!

بناءً على هذا فإن موقفنا بمحصّلته فيما يخص هذه القضية، أي إسقاط صدام على أيدي قوات الغزو الأمريكية والبريطانية هو: أننا لم نقدّم العون لأيٍّ من الطرفين الظالمين، ونحن في غاية السرور لسقوط صدام وكذا شعبنا، وكنّا على الحياد كما هو شأن الشعب العراقي في حياده، ونحن مسرورون مثلما الشعب العراقي مسرور.

أين هم دعاة حقوق البشر

القضية الثانية هي: المآسي التي حلّت بالشعب العراقي خلال هذه الفترة، وهي ليست بالأمر الذي يُضيَّع؛ فانظروا إلى حرب فيتنام التي انتهت قبل سبع وعشرين سنة وطوى النسيان الكثير من الأمور، بَيْدَ أنّ الجرائم التي ارتكبها الأمريكان في تلك الحرب بحق الشعب الفيتنامي لا تُنسى؛ فكم من الأفلام التي يصوّرونها حولها, والقصص التي يتحدّثون عنها!

فالعدوان على شعب في دياره يبقى عالقاً في أذهان ووجدان الشعوب إلى الأبد؛ فأسمى حقوق الناس هو حق الحياة، وهؤلاء "السادة" جاؤوا بوصفهم حماة لحقوق الإنسان وسلبوا بصواريخهم هذه حق الحياة في أبناء هذه المدن، فلقد ألقي أكثر من ألف صاروخ من طراز كروز, والآلاف من القنابل ذات الوزن الثقيل, ولا يُحصى من نيران المدفعية ومن جهات مختلفة وباستمرار على مدن البصرة والناصرية والديوانية والحلّة وعلى بغداد نفسها وغيرها من المدن التي يقطنها الناس؛ ونحن نعلم ماذا تعني القنابل؛ فلقد تعرّضنا للقصف؛ وطالنا القصف في طهران ودزفول وسائر المدن؛ وهل هو مزاح أن تقصف مدينة على مدار الساعة بالعشرات أو المئات من الصواريخ؟!

إنهم يقولون: كنّا نريد القضاء على أهداف عسكرية، فكم هدف عسكري في العراق يتعيّن ضربه بألف صاروخ كروز والآلاف من القذائف كي يُدمَّر؟

لقد دمّروا الناس, وخلقوا جوّاً من الرعب والذعر بينهم؛ فعمّ الرعب الأطفال، فماتو جرّاء ذلك، والبعض مات إثر فقدان الغذاء والدواء، ولا يدرك معنى هذا الكلام إلاّ من

كان له طفل رضيع في البيت يطلب الحليب ولا وجود له عند أمّه ويعوزهم الماء الصالح للشرب؛ كي يقدّموه له، فهؤلاء الذين يعرفون مغزى هذا الكلام.

فكم من طفل صغير أدمى قلب والديه ببكائه؟! وكم من الشباب رقد في هذه المستشفيات ولم يداوى جرحه؟! وكم من أعزّة لهذه العوائل قد اختطفوا؟!

أوَ قليل هذا؟ ثم إنّ امتهان الناس واقتحام بيوتهم لهي مشاهد تحرق قلب الإنسان، فيدخلون الدار لمجرد تهمة أو ظنٍّ باطلٍ, فيغطّون رأس الرجل بمرأىً من زوجته وأطفاله ويعصبون عينيه ويكّبلون يديه ويهينونه ويهددونه؛ فهل هذا بالأمر الهيِّن؟

يقوم الجنود الأجانب بتقييد أيدي الرجال العرب من الخلف، ويطوّقون رؤوسهم بكوفيتاهم، ويبطحونهم على وجوههم على الأرض ويقفون على رؤوسهم موجّهين نحوهم البنادق؛ أوَ تهون هذه المصيبة؟! وهل يمكن جبرانها؟! فهذه بدورها مصيبة أخرى أيضاً حيث يقوم الجندي الأمريكي بتفتيش النساء العربيات المحجبات.

شاب أمريكي لا يُعرف من هو ومن أين جاء يقوم بتفتيش امرأة عربية مقنعة بالحجاب والعباءة؛ لاحتمال أنها تحمل قنبلة! أهذه حقوق الإنسان؛ أهذا هو الاحترام للبشر والاحترام لحرية الإنسان التي يدّعونها زوراً؟! وهذه الأمور مما لا تنتهي بالاعتذار، فَهُم قد وجّهوا ضرباتهم ثم اعتذروا مدّعين: أنهم اخطأوا.

وهكذا فعلوا في أفغانستان، مراراً أثناء الحرب؛ وقبل أيام حصل أن قصفوا حشداً من الناس وقطّعوا أوصالهم, ومن ثم قالوا: عذراً فقد أخطأنا. فهل تمحى الجرائم بكلمة "معذرة قد أخطأنا" يا ترى؟!. وهذه هي القضية الثانية ونحن ندينها بشدّة ونعرب عن مواساتنا للشعب العراقي، وندين المعتدي ونعتبره كاذباً إن هو ادّعى الدفاع عن حقوق الإنسان.

عودة الاستعمار بثوب جديد

أما القضية الثالثة أي العدوان العسكري على بلدٍ بدعوى وجود أسلحة الدمار الشامل فهو من أقبح الأفعال وأسوأها, وقد أدان الضمير العالمي هذا الفعل، معتبراً إيّاه غير مشروع.

إنني أتذكّر أيام الحرب الفيتنامية حيث كانت تخرج المظاهرات المناهضة لأمريكا في بعض البلدان، غير أنّ ما رأيناه من إجماع دولي في هذه القضية لم نره في قضية الحرب الفيتنامية، فلم يكن مثل هذا الإجماع الدولي أثناء الحرب الفيتنامية؛ فيومها كان يقال: أنّ الاتحاد السوفيتي هو الذي ينظّم هذه التظاهرات، فمن الذي ينظّمها اليوم يا ترى؟ إنّ الناس يجتمعون في الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا، وفي أفريقيا وأوربا

وفي أمريكا ذاتها مشكّلين تجمّعاً ضخماً من عشرات أو مئات الآلاف بشعار واحدٍ، فمن الذي ينظّمهم؟ لا وجود لأي مركز يتولّى تنظيم هؤلاء، وإنما هو الضمير العالمي والإنساني الذي يدين هذا الفعل. إنه فعل مدانٌ وإنها لبدعة في غاية الاستهجان، إنها عودة إلى عصر الحروب العدوانية وفتح البلدان في العصر القديم، فهم يتشبّثون بالذرائع ضد بلدٍ ويرفضون كل ما يقوله مفتّشوا المنظمة الدولية, مدّعين أنهم لا يعرفون شيئاً قائلين: نحن الذين نعرف بوجود السلاح، فيشنّون هجومهم؛ وهذا فعل خاطئ جداً قد أدنّاه وندينه أيضاً، وفي نظرنا أنّ الأمم المتحدة قصّرت في هذه القضية, فلماذا لم يُدن مجلس الأمن الهجوم الأمريكي البريطاني؟ ولماذا لم يصدر قراراً ضدّهم؟ هَبْ أنهم سينقضون هذا القرار، فليفعلوا, إذ إنّ إصدار القرار بحدّ ذاته في مجلس الأمن بإمكانه أن يمثّل تحرّكاً مضاداً لهم، فلماذا لم يفعلوا؟ ولماذا لم تنعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة لتتمّ إدانة هذا العمل داخل الجمعية العامة؟ كان على الأمين العام اتخاذ المزيد من الإجراءات بهذا الصدد، فهنالك آمال معلّقة بالمنظمة الدولية، ومنذ سنوات لم تعد تراودنا مثل هذه الآمال ونحن نشاهد بأعيننا الممارسات والضغوط، ولكن العالم يعيش هذه الآمال على أي حال، وقد كان العمل ضعيفاً.

لقد أثبتت أمريكا بعدوانها هذا أنها متمرّدة، ولقد كان الرئيس الأمريكي السابق يلصق كلمة "التمرّد" ببعض الدول، والتمرّد هو ما يقوم به هؤلاء من تمرّد على الإنسانية وعلى استقرار الدول، لقد برهنوا على أنهم هم محور الشر بمعناه الحقيقي؛ وبرهنوا على أنهم الشيطان الأكبر حقاً؛ هذا اللقب الذي أطلقه إمامنا العظيم عليهم؛ ولقد ارتكب الإنجليز خطأً فادحاً حين اقتفوا أثر أمريكا؛ لينالوا نصيبهم من الغنائم، وأخطأوا في ذلك.

إنّ للإنجليز صورة قبيحة جداً ومرفوضة في هذه المنطقة، في إيران والعراق والهند وغيرها؛ لعظم ما اقترفوه من سوء وظلم فيها؛ وإلى ما قبل ثلاثين أو أربعين سنة ظهرت إلى الوجود صورة أشدّ قبحاً منهم, فأخذت صورة الإنجليز القبيحة تزول من الأذهان فجاء السيد بلير وأعاد صورة الانجليز القبيحة من جديد في الأذهان، فكان خطأً كبيراً.

إذاً، إننا ضممنا صوتنا في القضية الثالثة ــ وهي العدوان العسكري ــ إلى أصوات شعوب العالم وأعلنّا إدانتنا لهذا العمل، وندينه أيضاً, ونعتبره بدعة على صعيد العلاقات الدولية, وعدواناً على بلدٍ إسلامي وعلى الإسلام والمسلمين وانتهاكاً لحرمة الأمة الإسلامية.

والقضية الرابعة هي سلطة أمريكا المستقبلية على العراق.

إنهم وبالإضافة إلى عدوانهم والمآسي والجرائم التي اقترفوها، يريدون تولّي إدارة العراق عن طريق حاكم أجنبي وعسكري أمريكي إما صهيوني أو على صلة بالمحافل الصهيونية، وأن ينصّبون على بلد إسلامي وعربي غيور.

فهؤلاء توصّلوا ــ واهمين ــ فيما بينهم إلى تقسيم ما ــ وقد بدت بوادر الاختلاف بين أمريكا وبريطانيا ــ فالبصرة ــ حيث رائحة نفطها أشدّ فواحاً وهي أكثر قرباً إلى المناطق النفطية والإنجليز يتميّزون بشدّة ولعهم برائحة النفط ــ هي من نصيب الإنجليز؛ وبغداد ــ التي تمثّل مركز السلطة والأمريكان مولعون باستعراض قدرتهم ــ كانت من نصيب الأمريكان.

هنالك اختلافات كثيرة بينهم وهي تتزايد وستتكشف أمام الشعوب، ولكن يبدو أنهم متفّقون حالياً، أنه رجوع إلى عصر الاستعمار الأول ورجعية محضة؛ فهكذا كان الاستعمار القديم إذ كانت الدول الاستعمارية في أوروبا تستولي على الدول الآسيوية والأفريقية بالقوة, ثم تنصّب حاكماً عسكرياً عليها؛ ليفرض سيطرته على المنطقة بأكملها؛ وهذا ما فعلوه في الهند واستراليا وكندا وأفريقيا ودول عديدة أخرى، وبعد فترة من الزمن وجدوا من الخطأ تنصيب حاكم عسكري أجنبي على أي شعب من الشعوب، فغيّروا المعادلة، فكانوا يبحثون عن حكّام من نفس تلك البلدان مطيعين لهم تماماً فينصّبونهم ويقدّمون لهم العون ويوفّرون لهم الإمكانيات، وهؤلاء بدورهم يطلقون الحرية ويفتحون الأبواب أمام المستعمرين ليمارسوا السلطة ويفعلوا ما شاؤوا، ومضت حقبة من الزمن على هذا المنوال فلمسوا خطأه؛ لأن الشعوب تثور بوجه هؤلاء الحكام وإن كانوا من نفس الوطن وأبناء جلدتهم؛ وذلك لتبعيتهم واستبدادهم وظلمهم.

وبعد أسلوبهم هذا دخلوا مرحلة أخرى غيّروا فيها منهجيتهم, فكان منهجاً ديمقراطياً بظاهره يتمثّل بالهيمنة الثقافية, إذ ينتخبون حاكماً مؤيداً لهم؛ وهذا ما وقع في إيران أثناء عهد الطاغوت، فلقد نصّب الإنجليز رضا خان في بداية الأمر ثم جاؤوا بمحمد رضا لكنهم لمسوا بروز مشاكل فأجبروا محمد رضا على تنصيب علي أميني رئيساً للوزراء ليقوم بما يسمّى بالإصلاحات؛ وقد رأى هذا أنّ زمام الأمر بدأ يفلت من يديه فقال: سأقوم بالإصلاحات بنفسي، فكانت إصلاحاته تلك المواد الست ذات الصيت السيئ التي صدرت في عهد الطاغوت.

وهذه هي التجارب التي طبقّها المستعمرون في تلك الفترات وفي مناطق متعددة.

لقد عاد هؤلاء إلى الحقبة الأولى من عهد الاستعمار، أي أنهم يستولون على بلد ما بقوة السلاح ثم ينصّبون حاكماً منهم فيه؛ إنه لفعل عجيب للغاية، رجعي، قبيح، مُهين، ينم عن عنجهية وغرور سيطيح برؤوس هؤلاء إلى الأرض.

وإنّ عملهم القادم ينم عن جهلهم للمكان والزمان، فالعالم بأكمله تقريباً قد أدان هذا الفعل مؤكدين أنه مستحيل؛ وإنّ موقفنا لواضح تماماً, وسوف أتطرّق إليه, وهو عمل خاطئ مئة بالمئة كلياً؛ فيجب أن لا يكون هذا الحاكم أجنبياً ولا عسكرياً ولا صهيونياً، بل يجب أن يكون منتخباً من قِبَل الشعب العراقي نفسه دون اعتمادٍ على دعم قوات الغزو؛ وهذا ما يريده الشعب العراقي.

إنّ الأمريكان قد بنوا حساباتهم على بعض الأفكار قائلين: إننا ننصّب هذا الحاكم ونمسك بزمام الأمور ونقدّم له الدعم ثم نقوم بتغيير ثقافة الناس؛ أي نهيمن على التربية والتعليم, متوهّمين أنهم يفعلون ذلك في أفغانستان الآن؛ فلقد بادر الأمريكان بطبع عدة أطنان من الكتب الدراسية بالغتين الفارسية والبشتون[11] في إحدى البلدان الآسيوية, لتوزيعها على المدارس الأفغانية؛ ليخفوا من خلال هذه المناهج الوجه القبيح لأمريكا عن أنظار أطفال أفغانستان؛ ولتتخذ ثقافة الأفغان ورؤيتهم التاريخية طابعاً آخر بشكل كلي؛ وإنهم ليحاولون واهمين تطبيق ذلك في العراق أيضاً، ومن المسلّم به أنّ هذا العمل لن يعطي النتائج التي يرجونها.

فلقد تعمّقت جرائم الأمريكان وعداؤهم في أوساط المعلمين وأبناء الشعب, بحيث إنهم سينقلونها إلى الجيل اللاحق والأجيال الآتية لا محالة.

إذاً القضية الرابعة ليست سواء مع سائر القضايا؛ أي أنهم حتى لو لم يفعلوا فعلتهم هذه فإن العدوان يبقى محافظاً على صفته وهي أنه خطيئة وذنب كبير؛ ولو أنهم لم يرتكبوا هذا العدوان فإن كلّاً من أعمالهم اللاحقة تعد لوحدها خطيئة وذنباً كبيراً وإهانة للشعب العراقي.

إنّ المرء ليعجب حقاً؛ لِما يبديه هؤلاء من صلافة بهذا القدر, ويصرّحون عبر التلفاز: بأن الشعب العراقي عاجز عن اختيار حاكم له! والشعب العراقي بماضيه وتاريخه وبرجاله وشخصياته العلمية والسياسية، فأنى لإنسان القدرة على التحدّث دون خجل متّهماً شعباً بالعجز؟ إننا نعتبر ذلك استهانة بحقوق الشعب العراقي وندينه ونرفض أي دكتاتور جديد على العراق؛ وإنّ الشعب العراقي نفسه لا يقبل بذلك أيضاً؛ فالشعب العراقي لم يخرج من مستنقع صدام ليقع في حفيرة دكتاتور عسكري أمريكي، وإنهم حتى لو نصّبوا عراقياً بهذه المواصفات فإن الشعب العراقي لن يقبله أبداً.

---

[11] بشتو أو بشتوية، لغة أفغانية مستخدمة في منطقة غرب باكستان وجنوب شرق أفغانستان. وهي لغة معظم سكان أفغانستان وبعض سكان باكستان، والمناطق المجاورة لأفغانستان في الشمال.

على أية حال فإننا نعتبر الوضع الذي يخططون له الآن عدواناً آخر على حريم الإسلام والمسلمين {ولن يجعل الله للكافرين على المسلمين سبيلاً}[12].

هزائم أمريكا السياسية

إنّ الانتصار العسكري بما يعتريه من شك وشبهة ليس دليلاً على النصر النهائي؛ فالأمريكان قد تحمّلوا خسائر وهزائم في هذه الحرب أيضاً؛ ولربما يجهلون ذلك الآن, أو لا يقدرون على الإفصاح عنه؛ لكنهم سيشاهدون آثار هذه الهزائم في المستقبل القريب، فلقد تحمّلوا أربع هزائم أساسية هي:

هزيمتهم الأولى في شعار الديمقراطية والحرية الغربية, وهي الليبرالية الديمقراطية التي يروّجون لها في العالم، فلقد مُني هذا الفكر بالهزيمة؛ بفعل عملهم هذا، إذ إنهم أثبتوا أنّ الليبرالية الديمقراطية ليست قادرة على الوصول بشعب ما إلى الاعتقاد بحرية الإنسان بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ فذلك فكر على استعداد لسحق حرية البشر وأرواحهم وحقّهم في الانتخاب بكل سهولة؛ إذا ما اقتضت مصالحه المادية ذلك.

فلو كان الأمريكان صادقين في قولهم, وأنصاراً للحرية؛ فعليهم مغادرة العراق والخروج منه حالاً، فلقد كنتم تريدون الإطاحة بصدام وعزله عن السلطة.

حسنا، ها هو قد سقط، فما عملكم في العراق الآن؟ فإذا كانوا صادقين ويؤمنون بالديمقراطية وبحقوق الشعوب فعليهم إخراج جنودهم من العراق دون توانٍ, وعدم التدخّل في شؤون العراق، ولكن من الواضح أنّ هذا الأمر لن يحصل.

لقد هزم الأمريكان أيضاً إيديولوجياً وبان زيف شعاراتهم؛ وهذا ما أدركته شعوب العالم، وتجلّى من خلال الشعارات التي رددتها الشعوب أنها أدركت كذب الأمريكان، فهناك عشرة أو خمسة عشر شعار رددته شعوب العالم في مسيراتها، أما أنها أطلقتها بألسنتها أو خطّتها على اللافتات، وقد جُمعت لي وهي بأجمعها تبرهن على أنّ الناس قد أدركوا حقيقة الأمر، ومن هذه الشعارات: "هذه الحرب حرب النفط لا للحرية وحقوق الإنسان"، "هذه الحرب لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي المنهار"، "هذه الحرب احتلال وعدوان هتلري"، "محور الشر أمريكا وبريطانيا وإسرائيل"، وشعوب العالم هي التي كانت تردد هذه الشعارات وليس أهالي طهران، وهي شعارات كان الشعب الإيراني قد أدركها ببصيرته منذ أمد بعيد؛ وقد أدركتها شعوب العالم الآن وها هو الرأي العام يرددها.

وهزيمتهم الثانية هي الهزيمة السياسية، فأمريكا اليوم معزولة سياسياً في العالم، فهذا الحل الأمريكي المتمثّل بتنصيب جنرال أمريكي متقاعد لم يحظ بقبول أي دولة في العالم

---

[12] سورة النساء، الآية: 141.

تقريباً ــ سوى اثنين أو ثلاثة من أذنابهم ــ فلقد رفضته الدول العربية والإسلامية والأوربية.

والهزيمة الثالثة التي نزلت بالأمريكان هي تحطّم هيبتها العسكرية؛ لأنهم كانوا قد صوّروا إمكانيتهم بالانتصار على القوات العراقية في غضون ثلاثة أو أربعة أيام؛ فاتّضح بالنتيجة عجزهم عن تحقيق الانتصار لا في ثلاثة أو أربعة أيام, بل بما هو أكثر من ذلك.

ولو أنّ القوات العراقية قاتلت لاستمرت هذه الحرب ومن غير المعلوم أنهم سيحققون النصر العسكري في نهاية المطاف؛ نتيجة لفداحة الخسائر، وإنّ العراقيين لم يقاتلوا حينما كان يتعيّن القتال؛ وهذا موضع تساؤل وشكوك، وكما قلت آنفاً: لا حكم لنا في الأمر بَيْدَ أنّ الإجابة عن هذه التساؤلات ستتضح مستقبلاً.

الهزيمة الرابعة؛ وهي تحطّم اعتبارهم الإعلامي, فلقد انهارت مصداقيتهم الصحفية والإعلامية عالمياً؛ إذ أدركت شعوب العالم بأسرها أنّ الأمريكان يقومون بعملية سيطرة إعلامية، وقد اعتدوا على الصحفيين، وقالوا: لقد أخطأنا، ولكن ليس هنالك من تقبّل هذا الخطأ منهم.

ثم إنهم ينشرون أخباراً كاذبة عن خسائرهم.

فطوال هذه الفترة كانوا يصرّحون: أنهم خسروا ثمانين أو تسعين أو مئة قتيل ــ مثلاً ــ والجميع يعلم أنّ هذا كذب محض، ونحن لا نعلم كم هي خسائر أمريكا، ولابدّ من الاستفسار من موظفي الثلاجات في الكويت عن أرقام الخسائر التي مُنيت بها أمريكا، وسيفهم الشعب الأمريكي ذلك فيما بعد؛ ففي حرب فيتنام صرّحوا فيما بعد: أنهم خسروا خمسين ألف قتيل، لكنهم كانوا أثناء الحرب يعلنون عن مثل هذه الأرقام الصغيرة فيقولون عشرة، عشرين، مئة أو مئتي قتيل.

كلمة الختام

وأقول في خاتمة حديثي:

أولاً: إنّ تحليلي هو أنّ الصهاينة كان لهم في هذه الواقعة الدور الأكبر في تشجيع الحكومة الأمريكية للقيام بهذا العمل وإعداد مقدّماته أيضاً؛ وإنّ الصهاينة سيجنون الفائدة الكبرى من الخارطة الجديدة في الشرق الأوسط التي يتحدّث عنها جورج بوش، وقد اعدّوا مقدّماتها؛ فالخارطة الجديدة تتمثّل بطموح الصهاينة بالتوسّع في منطقة الشرق الأوسط وعلى طول امتداد الدول العربية وغير العربية المحيطة بهم سياسياً واقتصاديا، وجغرافياً؛ إن فُتح المجال أمامهم.

ولكن الصهاينة وشارون الخبيث سرعان ما استغلّوا هذه الواقعة, حيث تتجه أنظار العالم نحو العراق، فالفلسطينيون يقتلون يومياً ويتعرّضون للضغوط وتقع هناك مآسي تبكي العيون.

إنني أقول للناشطين السياسيين في العراق؛ إنّ العراق يمتلك الكثير من الناشطين السياسيين، وإنهم اليوم يواجهون اختباراً عظيماً وتاريخياً؛ وعليهم الحذر لئلا يرتكبوا خطأً ستراتيجياً؛ فلا يستطعموا الانتصار العسكري الأمريكي على صدام, ولا يرهبوه؛ لأنه سينتهي بضررهم. وعلى الناشطين السياسيين في العراق الاهتمام بأمرين هما:

الأول: الفوضى وأعمال الانتقام غير المنطقي والتنافس الضار؛ فعليهم الحذر كثيرا إذ إنّ الفوضى تلحق الضرر بشعب العراق ومستقبله, وستعطي الذريعة بِيَد المحتلّين لترسيخ تواجدهم. بناءً على هذا يتعيّن عليهم الحد من المنافسات الواهية وأعمال الانتقام الخاطئة، وليجلسوا ويفكّروا بهذا الأمر ويضعوا الخطط التي تحول دونه؛ وذاك ما هو ممكن.

والثاني: عدم التهاون والتنسيق مع حاكمية الأجنبي، فيحذروا من أن يصدر عنهم هذا الخطأ؛ لأنه سيبقى ماثلاً في تاريخ العراق، فلو أنّ أحداً أعان القوات الأجنبية اليوم لتُرسّخ حاكميتها في العراق فسيبقى ذلك وصمة عار على مدى التاريخ العراقي بالنسبة لكل شخص أو فصيل أقدم على ذلك.

إنّ الشعب العراقي ينشد الاستقلال والحرية, والحكومة المنبثقة عن مبادئه الدينية والوطنية، وهذه هي إرادة الشعب العراقي، فعلى الذين كانوا يتحدّثون باسم الشعب العراقي سنوات متمادية أن يكونوا أوفياء للشعب العراقي وتطلّعاته, ويبرهنوا على ذلك عملياً؛ فالتخفّي والتعامل مع القوى الأجنبية سيدفع الجماهير للإعراض عنهم، فليضعوا في اعتبارهم رضى الله ورضى الناس فقط, وليعلموا أن النصر العسكري على نظام صدام لا يعني انتصاراً سياسياً وثقافياً على العراقي، لقد انتصروا عسكرياً على النظام الصدامي بَيْدَ أنّ ذلك لا يعني انتصارهم على الشعب العراقي سياسياً وثقافياً, ولن يكون كذلك.

نسأل الله تعالى بحق أوليائه وبدماء المظلومين أن يعين الشعب العراقي والشعب الفلسطيني والشعوب المظلومة كافة في مواجهتها لقوى الظلم، ويمنّ عليهم بأن يشهدوا الانتصار في ظلال الاستقامة والدين، ونسأله تعالى أن ينزل بركاته وفضله على شعبنا العزيز العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

{والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين لاسيّما علي أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وعلى علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي باقر علوم النبيين وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي الزكي العسكري والحجة القائم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين والسلام على أئمة المسلمين وهداة المستضعفين وهداة المؤمنين.

في الخطبة الثانية أقول لكم أيها المصلّون الأعزاء وأدعوكم إلى رعاية التقوى الإلهية في جميع شؤونكم وأعمالكم وأقوالكم، فاعلموا أنّ مسؤولية البلد في جميع المجالات وفي المجال الذي تحدّثت عنه في الخطبة الأولى أنّ كل اهتمامهم يتركّز على تحقيق الأهداف الإسلامية المتطابقة مع مصالح الناس والبلد، وأن يحددوها ويتابعوها, ونسأل الله أن يوفّقهم في هذا المجال, وأن يوفّقوا في جميع المجالات, وأن يقوموا بالواجب كما ينبغي أن يقوموا به؛ لحفظ مصالح البلد ومصالح الشعب.

أتحدث في قسم من هذه الخطبة للإخوة العرب:

السلام على الأخوة المسلمين والأخوات المسلمات في شتّى أنحاء العالم وخصوصاً الشعب العراقي المظلوم المضطهد.

إنّ الحوادث التي يمرّ بها العراق هذه الأيام، مهمة جداً ومعقّدة ومصيرية.

فرغم أنّ سقوط نظام صدام الذي شكّل نموذجاً للظلم والقسوة والعنف, وزجّ بالشعب العراقي لسنين طويلة في سجن استبداده وقمعه الدموي يشكّل يوماً للفرحة التاريخية، إلاّ أنّ المصائب الفادحة التي جرّها الهجوم الأمريكي البريطاني على الشعب, وما يخططه المهاجمون لمستقبل هذا الشعب يترك طعمه المر في ذائقة هذا الشعب الغيور الشريف, ويحزن كل المسلمين والأحرار في العالم.

إنّ المذابح التي طالت الشعب الأعزل, وأنّات الثكالى والمصابين, وبكاء الأطفال الجائعين والمجروحين المتروكين دون علاج, وتهديم مساكن الناس, واعتقال وأسر

العابرين بحجج واهية, والاعتداء على حرمة العوائل, وفرض جو الرعب والوحشة الشاملة, وتوجيه الإهانات والإذلال للرجال الغيارى أمام أعين أبنائهم ونسائهم, والقضاء على البنى التحتية الحيوية للبلاد, وإلقاء الآلاف من القنابل والصواريخ وحمم المدافع على المدن والتي يعتبر كل منها لوحده جريمة حرب؛ إنّ كل ذلك منح المهاجمين قصب السَبَق على جرائم صدام التي قام بها لسنين متمادية.

ولن يشعر أي شعب بأمضّ من أن يرى الجنود الأجانب مغترّين بفتحهم يطأون بيته وأرضه بكل حرية, ويتحكّمون في مصيره.

لقد أدّعى الأمريكان والانجليز: أنهم قاموا بهجومهم هذا لإزاحة صدام, وجلب الديمقراطية والحرية للعراق وتجاهلوا ــ عمداً ــ كونهم هم الذين جهّزوا صداماً القاسي الظالم ودعموه بكل ما يمهّد له القيام بتلك الأعمال الإجرامية القاسية, وأنهم هم الذين أرخوا له العنان ليقوم بمذبحة عام واحد وتسعين الرهيبة, ولم يزجروه حتى برمشة عين, وهم الذين ساعدوه ليستخدم السلاح الكيماوي ضد الإيرانيين, بل وضد أهالي "حلبجة"[13] وغضّوا الطرف عنه, وهم الذين قدّموا له في حرب السنوات الثمان التي فرضها على الجمهورية الإسلامية كل ما يدعمه من سلاح وإعلام, وتغاضوا عن كل المصائب التي كان يصبّها على الشعب العراقي ليلاً ونهاراً.

إنّ ادّعاء أمريكا وانجلترا بإهداء الحرية للشعب العراقي يعد من أكبر المهازل, إنهم في الواقع يعملون للسيطرة على العراق وعلى النفط وعلى الشرق الأوسط, وقمع الانتفاضة الفلسطينية, ووأد الصحوة الإسلامية, وإنّ تعيين حاكم عسكري أجنبي على العراق يشكل إهانة للحرية والسيادة الشعبية في العراق.

إنهم يخططون لمحو الهوية الإسلامية والوطنية للعراق, وتحويله إلى مركز للتسلّط الأمريكي على كل الشرق الأوسط ومنابعه وذخائره القيّمة البشرية والمادية.

إنهم لا يرون الشعب العراقي قادراً على تقرير مصيره بنفسه, ومالكاً لحقوقه الطبيعية المسلّمة في أرضه.

إنّ أفضل العناصر العراقية ــ في رأيهم ــ هي تلك التي تقدّم خدمة أكبر للمعتدين الأجانب وتدير ظهرها لشعبها ووطنها.

إنّ الوجدان العام للشعب العراقي وكل الأحرار والتاريخ يحكم على أي خدمة لأمريكا ــ كي تحقق أهدافها الاستعمارية اللئيمة ــ بأنها خيانة للعراق وشعبه وتأريخه.

---

13 حلبجة بلدة كردية في العراق تقع في الشمال الشرقي وتبعد عن الحدود الإيرانية 8 – 10 أميال وتقع شمال شرق بغداد وتبعد عنها 150 ميل .

إنّ الحلم الذي يحلم به الأمريكان والإنجليز سوف لن يتحقق؛ ذلك أنه وفي كل مكان تقف المقاومة بلغتها وأسلوبها بوجه الاعتداء ولغته وسلوكه ولن يكون الشعب العراقي المعروف بغيرته وحميّته مستثنى من هذه القاعدة.

لقد قام الشعب الفلسطيني المظلوم عبر مقاومته الباسلة بسلب العدو الصهيوني السفّاك رغم شدّة بطش قدرته على كسر شوكة المقاومة, واستطاع الشعب الإيراني المؤمن الثائر عبر وحدته واستقامته أن يفشل الحرب العدوانية التي فرضها نظام صدام بمعونة أمريكا وانجلترا ــ نفسيهما ــ ودعم الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي السابق على مستوى السلاح والإعلام والسياسة ويطرد العدو إلى خارج الحدود.

لقد عانت المدن الإيرانية لسنوات ــ وعلى يد صدام الظالم هذا ــ من قصف الصواريخ والقنابل وضرب شبابها المضحي بالقنابل الكيماوية, إلاّ أنّ مقاومة الشعب تبطل كل أساطير الديكتاتورية والقمع والاعتداء.

إنّ المهاجمين استطاعوا أن يقهروا النظام البعثي؛ وهو ما نتوقّعه لنظام لا يحميه شعبه, بل يعتمد على أجهزة وعناصر قمعية, إلاّ أنّ هؤلاء المهاجمين لن يستطيعوا أن يقهروا الشعب العراقي.

وإذا أرادوا أن يتحاشوا مواجهة الشعب العراقي فإن عليهم أن يخلوا العراق من جنودهم فوراً ويمتنعوا تماماً عن التدخّل في مصير العراق وشعبه.

إنّ الحكم في العراق والمصادر والثروات العراقية هو ملك للشعب العراقي, وهو قادر على تعيين حكومته الآتية, ولو كان الأمريكيون صادقين في ادّعائهم للديمقراطية فإن عليهم أن لا يتدخّلوا في الشؤون العراقية؛ ليقوم الشعب بنفسه عبر الاستفتاء العام بتعيين نظامه المستقبلي, وانتخاب مسؤوليه وتعيين الأسلوب المناسب لإعادة إعمار ما هدّمه هؤلاء المهاجمون.

إنّ موقف الحكومة والشعب الإيراني واضح.

لقد خالفنا نظام صدام القمعي الظالم, واعترضنا على اعتداء الأجانب على العراق, وبالنسبة للحرب بين صدام وأمريكا وإنجلترا اعتبرنا الطرفين ظالمين, ولم نقدّم أي عون لأي منهما, وأعلناّ عدم الانحياز لأي منهما, ولكنّا لن نقف على الحياد في مجال الصراع بين المحتلين والشعب العراقي.

إنّ المحتل معتد مدان, وإنّ الشعب المقاوم محق ومظلوم, وإنّ دعمنا المعنوي والسياسي لكل شعب مظلوم معتدى عليه هو سبيلنا الذي لا نحيد عنه.

إنّ الشعب العراقي اليوم يتحمّل مسؤولية ضخمة, وإنّ أي تفريط أو تمزّق في الموقف يرسم في طيّاته مستقبلاً صعباً لهم.

فالوحدة الوطنية والتواجد في الساحة والمساهمة في تشكيل الحكومة المستقلة المدافعة عــن الهوية الإسلامية هي من اكبر واجبات الشعب العراقي, وخصوصاً العلماء والمثقفين والنخب العلمية والسياسية.

اسأل الله تعالى أسأل أن يوفّق اُمتنا الإسلامية؛ للسير على درب التزكية والتقوى لتحقيق أهدافها المنشودة إنه هو السميع المجيد.

"وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

وأستغفر الله لي ولكم

بسم الله الرحمن الرحيم

{قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد}

والسلام عليكم ورحمة الله